الخليل بن أحمد الفراهيدي منظرا نحويا وعنايته بالقراءات وتوجيهها النحوي

أ.د التواتي بن التواتي

أستاذ النحو العربي وأصوله بجامعة الأغواط

محتويات البحث :

1 - الخليل بن أحمد مفكرا عبقريا . ونحويا منظرا

(أ)--مسائل نحوية خالف فيها سيبويه الخليل

(ب)- مسائل نحوية للخليل بن أحمد

(ج)-هل صنف كتابا في النحو

2 - الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية

(أ)-موقفه من بعض القراءات :

(ب)- أجوبته عن مسائل في القراءات :

(ج)- تفسيره لبعض القراءات :

(د)-تفسيره اللغوي لبعض الآيات

ملخص البحث : يتناول هذا البحث الخليل بن أحمد الفراهيدي كعالم من علماء النحو الذين تركوا بصمات في سجلّ تاريخ النحو العربي ،وكمنظر ترك مفاهيم رائدة في علم اللسان العربي لا تقل أهمية عن اللسانيات الحديثة وما وصلت إليه من نظريات ، وإذا قيس التراث الخليلي بها نجد فإن الخليل كان سباقا لكثير منها ، رغم التقدم العلمي والتكنولوجي ، والوسائل المساعدة المتوفرة لدى الباحثين الآن في ميدان البحث في العلوم اللسانية والصوتية.

وقد جمع هذا البحث بعضا من هذه المفاهيم ، كما أثبت الباحث بعض المسائل النحوية كان له مع تلميذه النابه وفاقا واختلافا . ولم يهمل رأي الخليل في بعض القراءات وتوجيهها النحوي .

أولا : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري نابغة العرب وسيد أهل الأدب ومخترع العروض ومبتكر المعجمات وصاحب الشكل العربي المستعمل الآن.

وهو من علماء الطبقة الثالثة من نحاة البصرة ولد ، ونشأ بها وأخذ النّحو والقراءة والحديث عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ، وسمع الفصيح وجمع الغريب حتّى نبغ في اللّغة نبوغا لا يعرفه التّاريخ لغيره. وكان آية في الذكاء .وبقي بالبصرة مقيما طول حياته على فاقة وتقشف

نزوعا بنفسه عن مواقف الضّراعة ، وتجافيا عن مطارح الهوان قيل : إنّ أحد الأمراء وهو سليمان بن عليّ وجّه إليه رسولا يلتمس منه الشخوص إليه لتعليم أبنائه فأخرج إليه الخليل خبزا ، وقال له: «كُلْ فما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان» .فأنشأ يقول : [1]

أبلغْ سُليمان أنّي عنك في سعة * وفي غِنًى غَيْرَ أنّي لستُ ذا مال

سَخَّى بنفسي أنّي لا أَرَى أحدًا * يموتُ هَزْلاً وَلا يَبْقَى على حال

وهو أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتابه عنه ؛ وكلما قال سيبويه «وسألته» أو «قال» من غير أن يذكر قائله فهو الخليل .[2]

وانكب هذا العالم الجليل يستنبط ويؤلّف ويعلّم ، حتّى كان شهيد العلم وسبب وفاته مبثوثة في كتب السير والتراجم .

والخليل أوّل مَن ضبط اللّغة ، وابتكر فكرة المعاجم اللغوية بوضعه كتاب العين بطريقة فريدة لم يسبق إليها ولا أحد يستطيع أن يقول أنّه تأثّر بالمنطق اليوناني ولا بغيره من الأمم الأخرى. فإنّ الطّريقة التي اعتمدها طريقة رياضية بحتة لا عهد لليونان بها .

قال أبو الحسن بن كيسان قال محمد بن يزيد : الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف .[3]

1 – معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، 160/11 . طبقات النحويين واللغويين ، ص: 20

2 – بغية الوعاة ، السيوطي ، 558/1

3 – المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان الداني ، ص : 7

وقد اخترع نظرية في الرياضيات واستغلها في وضع منهج قويم لمعجم العين الشهير إذ بناه على تقليب كلّ الصيغ الأصلية ، بحيث تندرج فيه مع كلّ كلمة الكلمات الأخرى التي تجمع حروفها وتختلف في ترتيبها بتقديم بعض منها على بعض .

قال العلامة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح : «فقد لاحظ كل معاصرينا أنّ الأفكار الأساسية التي بني عليها التحليل عند الخليل بن أحمد هي رياضية محضة . فهذا شيء لا يتفق مع ما يتصوره اللسانيون في وقتنا : فإن كان النحو العربي في زمن الخليل وسيبويه بدائيا بالنسبة للسانيات الحديثة فما هذا الاتجاه الرياضي الذي أجمع معاصرونا على الاعتراف بوجوده عند الخليل ؟ ثم لننظر إلى هذا الذي يقال أنه نزعة رياضية ما هو ؟

وقال : لاحظ بعض الباحثين أن كتاب العين قد بني على فكرة استفراغ جميع التراكيب التي تحتلها الحروف الصوامت العربية غير المزيدة فيها: الثنائية والثلاثية منها وهذا كان يسمى عندهم بقسمة التراكيب (في الرياضيات الحديثة combinatoire)[4] .

وقال الخليل بهذا الصدد : «اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو : قد ، ودق . . والكلمة الثلاثية تصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو : ضرب ، ضبر ، برض ، بضر رضب ربض

4 – أشار إليها العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وأشاد بها في بحث ألقاه في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران (نوفمبر 98)

... والكلمة الرباعية تتصرف على 24 وجها ، وذلك أن حروفها وهي 4 أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي 6 أوجه فتصير 24 وجها يكتب مستعملها ويلغى مهملها. . . والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها وذلك أن حروفها وهي : أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي 24 فتصير 120 وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره .[5]

وقال الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح : إن الخليل بن أحمد ممن أقام أسس الجبر التركيبي فقد وضع مفهوم ما يسمى الآن العاملي ورسم دائرة تمثل جميع احتمالات التركيب الثلاثي طردا وعكسا وهذا يسمى في الوقت الحاضر بالزمرة الدائرية .(cyclic group)[6]

ورأى أن يكون ترتيب الكلمات في المعجم على مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصوتي وهو الحلق واللسان والفم والشفتان بادئا بحرف العين وبه سمّاه . على ضوء هذا العمل الجليل استطاع أن يقدم للدراسات اللغوية مادة صوتية غزيرة أفاد منها سيبويه ناقل علمه ، وردّ الباحثون هذا العمل الجليل إلى ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : ذوق أصوات الحروف عن طريق فتح الفم بألف مهموز يليها الحرف المذاق ساكنا فيقال في الباء أبْ وفي التاء أتْ. .الخ

---

5 - معجم العين ، الخليل بن أحمد ، 1/65-66

6 - بحث ألقاه في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران (نوفمبر 98) وقد أخنا عنه ذلك أثناء الطلب في جامعة الجائر فكان كثيرا ما يشير إلى الوجه الرياضي للخليل بن أحمد (انظر مستندات طلبة حلقة البحث سنة 1979)

وبذلك يتضح صوت الحرف بالوقوف عليه ساكنا والمكث عنده قليلا بخلاف لو وصل بحرف بعده فإننا حينئذ لا نتمكن من إشباع الصوت إذ نتهيأ للنطق بصوت الحرف التالي له .

الجانب الثاني : وصف الأجراس الصوتية للحروف من همس وشدة ورخاوة واستعلاء واستفال على ما هو موجود في كتاب سيبويه ، فقد وقف عند أصوات الحركات وما يداخلها من إمالة ورَوْم وإشْمام . وقد أفاض النحاة والقراء في شرح هذه المسائل الثلاث بعد أن أنار لهم الخليل بن أحمد الطريق ووضَّح لهم المعالم وعبد لهم المسالك ليسير على هداه مقتفين وهذا بيانه :

(أ)- الإمالة : والإمالة ظاهرة لهجية صوتية قديمة من لهجات العرب المستحسنة ينسبها أهل اللغة والقراءة إلى بني تميم في حين ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز ، قال سيبويه في باب ما تمال به الألف : «وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز».[7]

قال الرضي: وليست الإمالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ،وأشدهم حرصا عليها بنو تميم.[8]

الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء أو صائرة ياء مفتوحة أو للفواصل أو لإمالة قبلها على وجه.

---

7 - الكتاب ، سيبويه ، 118/1 ، 259/2

8 - شرح الكافية ، الرضي الاستراباذي ، 4/2

فالكسرة قبل الألف نحو عماد وشملال ونحو درهمان سوغة خفاء الهاء مع شذوذه و بعدها في نحو عالم و نحو من كلام قليل لعروضها بخلاف من دار للراء و ليس مُقَدَّرُها الأصلي كملفوظها على الأفصح كجاد و جواد بخلاف سكون الوقف .

ولا تؤثر الكسرة في المنقلبة عن واو ونحو من بابه و ماله والكِبَا شاذ ، كما شذ العَشَا والْمَكَا وبابٌ ومالٌ و الحجاج والناس لغير سبب وأما إمالة الربا ومن دارٍ فلأجل الراء.(9)

زعم سيبويه والخليل أن (حتى ، وإمّا ، وإلاّ) لا يجوز فيهن الإمالة: لا يجوز إمالة(حَتَّى جَاءَتْهُمْ) ولا يجيزان إمالة (أَمَّا) ولا إمالة (لا إله إلاّ الله) فهذا عندهما لحن كلّه .

وزعما (أي : الخليل وسيبويه) أنّ ألفات الفتح لأنّها أواخر حروف جاءت لمعنى ، ففصل بينها وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف نحو : حبلى وهدى إلاّ أنّ :

1- **(حتى)** كتبت بالياء لأنّها على أربعة أحرف فأشبهت سكرى .

2- **و(إمّا)** التي للتخيير شبهت بـ(إن) التي ضمت إليها (ما) مثل قوله تعالى : ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (86)الكهف / كتبت الألف لما وصفنا .

---

9 – الشافية ، ابن الحاجب ، 63/1

3- **و(إلاّ)** أيضا كتبت بالألف لأنّها لو كتبت بالياء لأشبهت إلى.[10]

(ب)- أما الروم فهو عند النحاة : فهو أن يضم شفتيه في الرفع بعض الضم ويكسر في الجر بعض الكسر فيضعف الصوت بهما وهذا يدركه السمع ، ويسمى روما لأن الروم الإرادة فكأنه أراد الحركة التامة ولم يأت بها وبقي على إرادتها دليل.[11] وقال ابن عقيل : والروم عبارة عن الإشارة إلى الحركة بصوت خفي.[12]

أما عند القراء فهو عبارة عن النطق ببعض الحركة وقال بعضهم : تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها أي حركة مختلسة ضعيفة .

قال ابن الجزري: وكلا القولين واحد وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي قال الجوهري في صحاحه: روم الحركة الذي ذكره سيبويه هو حركة مختلسة مخفاة بضرب من التخفيف قال: وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة مثل همزة بين بين.[13]

ويختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور بخلاف المفتوح لأن الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض .

وأما الإشمام فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت وقيل

10 - معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، 335/2

11 - اللباب في علل البناء والإعراب ، 198/2

12 - شرح ابن عقيل ، 174/4

13 - النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 121/2

أن تجعل شفتيك على صورتها وكلاهما واحد ويختص بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة.[14]

وقيل: الإشمام هو أن تذيق الحرف الضمة أو الكسرة بحيث لا تكاد تسمع ،وإنما ترى في حركة الشفة فهو أقلّ من الروم همسا .

قال الرضي : والروم في المتحرك وهو أن تأتي بالحركة خفية و هو في المفتوح قليل والإشمام في المضموم وهو أن تضم الشفتين بعد الإسكان والأكثر على أن لا روم و لا إشمام في هاء التأنيث وميم الجمع والحركة العارضة وإبدال الألف في المنصوب المنون وفي (إذا) و في نحو (اضربن) بخلاف المرفوع والمجرور في الواو والياء على الأفصح.

وقال أيضا لم أر أحدا : لا من القراء ولا من النحاة ذكر أنّه يجوز الروم والإشمام في أحد الثلاثة المذكورة؛ بل كلهم منعوهما فيها مطلقا، وأرى أنّ الذي أوهم المصنف أنّه يجوز الروم والإشمام فيها قول الشاطبي :

وَفِي هَاءِ تَأْنِيثٍ وَمِيمِ الجَمْعِ قُلْ * وَعَارِضِ شَكْلٍ لَمْ يَكُونا لِيَدْخُلاَ

وَفِي الْهَاءِ للإِضْمَارِ قَوْمٌ أَبَوْهُمَا * وَمِنْ قَبْلِهِ ضَمٌّ أَوْ الكَسْرُ مُثِّلا

أَوْ أَمَّاهُمَا وَاوٌ وَيَاءٌ وَبَعْضُهُمْ * يُرَى لَهُمَا فِي كُلِّ حَالٍ مُحَلِّلاَ

فظنّ أنّه أراد بقوله : (في كلّ حال) في هاء التأنيث وميم الجمع

14 – الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 238/1 . النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 121/2

وعارضِ الشكل وهاء المذكر كما وَهِمَ بعض شرّاح كلامه أيضا وإنما عنى الشاطبي في كلّ حال من أحوال هاء المذكر فقط.[15]

الجانب الثالث : ما يحدث للصوت في بنية الكلمة من تغير يفضي إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام .

استطاع سيبويه أن يستغل هذه الجوانب الثلاثة وخاصة الجانب الثاني ، وأن يصوغها صياغة دقيقة مما جعله يدخل على النقط أو الإعجام علامات للروم والإشمام والتشديد والهمزة المتصلة والمنقطعة واستنبط منها علامات الضبط التي نستعملها (أو ما يسمى حركات الإعراب) فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء متصلة تحت الحرف ، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف.[16]

يقول الدكتور/زكي نجيب محمود عن هذا العبقري العظيم وإنجازه الضّخم ففي حديثه عنه متعة تنبئ عن عظمة الخليل وشهادة من رجل له مكانته العلمية في العصر الحديث فيقول : « لأوّل مرّة في التاريخ يجمع الخليل أشتات المفردات اللّغوية بقدر ما مكّنته الظّروف ولأوّل مرّة رتّبها في معجم وليس قبله [معجم يحتذي]. ثم نزداد ذهولا لهذه القدرة الفائقة عندما نجد الرّجل [يبتكر] طريقة فريدة من نوعها في عصره في ترتيب الألفاظ في معجمه فلقد وجد الخليل بين يديه طريقتين معروفتين في ترتيب أحرف الهجاء فهناك الطريقة التي تسمى بالأبجدية

15 - شرح الشافية ، الرضي الاسترابادي ، 2/276-277

16 - المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو الداني ، ص : 7

وهي التي ترتّب الحروف على غرار ما تَرِد في هذه الكلمات : «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ».

وهناك طريقة أخرى التي ترتّب على هذا النّحو:«ا ب ت ث ج»وهي التي تسمّى الألف بائية.فلم يأخذ لا بالطريقة الأولى ولا بالثانية ولعلّه لم يجد فيهما أساسا علميا ... . و«ابتكر» الخليل لنفسه طريقة ثالثة تقام على أساس علمي لا مجال فيها لاختلاف النّظر ، وذلك أنّه رتّب الحروف بحسب مخارجها عند النّطق فأقصاها مخرجا يَرِد أوّلا في التّرتيب وأدناها إلى الشّفتين يرد آخر وما بين الأقصى والأدنى ترتّب الحروف بحسب المخارج المتعاقبة . فكان أنْ وجد لها هذا الترتيب : «ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ب م و ا ي».[17]

قال الخليل : في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا ومدارج وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة .

والهمزة وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء.

17 -المعقول واللامعقول ، د/ زكي نجيب محمود ، ص:87

وقال: فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء .

وقال مرة : ههة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاء في حيز واحد ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه .

وقال الخليل بن أحمد رضي الله عنه : الهاء والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما في الحلق ولكنهما يجتمعان من كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة كقول لبيد

يتمارى في الذي قلت له * ولقد يسمع قولي حيهل[18]

وقال : فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم والصاد والسين والزاء أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى والظاء والذال

18 - معجم العين ، الخليل بن أحمد ، ج: 5/3

والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان والفاء والباء والميم شفوية.

وقال مرة : شفهية لأن مبدأها من الشفة والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه .

وكان الخليل يسمي الميم مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها فهذه صورة الحروف التي ألفت منها العربية على الولاء وهي تسعة وعشرون حرفا : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م فهذه الحروف الصحاح و ا ي ء فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب.

وقال : اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو قد دق شد دش والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو : ضرب ضبر برض بضر رضب ربض .

والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها يكتب مستعملها ويلغى مهملها وذلك نحو : عبقر تقول منه: عقرب عبرق عقبر عبقر عرقب عربق قعرب قبعر قبرع قرعب قربع رعقب رعبق رقعب رقبع ربقع ربعق بعقر بعرق بقعر بقرع برعق برقع.

والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجها وذلك أن حروفها

وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مئة وعشرين وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره وهي نحو : سفرجل سفرلج سفجرل سجفرل سجرلف سرفجل سرجفل سلجرف سلرفج سلفرج سجفلر سرفلج سجفرل سلفجر سرجلف سجرلف سرلجف سجلفر وهكذا .

وتفسير لثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف لينة ولا همزة في أصل البناء لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل.

وقال الخليل بن أحمد: بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب وبدأنا الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذا للمتفهم..[19]

ويدعونا الدكتور زكي نجيب إلى التّأمّل في هذا العقل وفي هذا النّظر العلمي الدّقيق فيقول: «فكم من دقّة النّظر ، وكم من موهبة في إدراك الصّوت يحتاجه إنسان ليتعقّب الحروف المختلفة إلى مخارجها عند النّطق بها ليرى أيّها أقصى من الحلق وأيّها أدنى ؟ وبعد فراغه من التّرتيب، جاء تحديد مواضيع الحروف في سلسلة التّعاقب خلال معجمه، استقصاء للألفاظ ليصنّفها ، واستعان بما ذكره الصّرفيون قبله في حصرهم لأبنية الكلمة ، فهي إمّا ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية شأن العلماء في أَخْذِ النّتائج الصحيحة بعضهم من بعض ، حتىّ لا يبدأ كل عالم من

19 - معجم العين ، الخليل بن أحمد ، 1/57-58-59

الصّفر .... فالعدد النّاتج هو حصر كامل لصُوَرِ اللفظ العربي من حيث الإمكان النّظري حتىّ ولو لم يتحوّل هذا الإمكان النّظري في بعض الحالات إلى واقع فعلي ، بمعنى ألاّ نجد له لفظا ممّا قد استعمله العرب بالفعل. . .وهنا قد نسأل :

وما جدوى الأقسام التي لا يقع فيها لفظ ممّا ورد في استعمال العرب؟

الجواب: جدواه عند استخدام القياس المنطقي في صلاحية لفظة مستحدثة أو عدم صلاحيتها فيحكم كونها مستحدثة لأسباب حضارية طرأت على حياة العرب ، لا يكون لها سابقة ، وعندئذ نكون في حاجة إلى قاعدة نحتكم إليها ،هل تنساق المستحدثة مع اللّسان العربي أو لا تنساق والاحتكام في هذا يكون للأبنية النّظرية التي أسلفنا ذكرها وفي هذا وحده هداية كافية لنا ندرك معها المعنى المقصود حين يصف المؤرخون مدينة البصرة في تلك الفترة من التّاريخ خصوصا كلّما أرادوا موازنة بينها وبين الكوفة. فيقولون إنّها «عقلانية »المنحى تعتمد على «القياس»المنطقي في أحكامها...الخ [20]

والخليل بن أحمد وإن اشتهر وذاع صيته في تصحيح القياس ، وتعليل النّحو واستنباط مسائله إلا أنّه لم يترك مؤلفا مشهورا.[21]

ويظهر أنّه وجّه جهوده كلّها إلى اللّغة ، وأثره في النّحو يتجلّى فيما نقله عنه بكلّ أمانة تلميذه سيبويه في كتابه . وإن نسب إليه كتاب صغير الحجم «كتاب الجمل» ولنا وقفة عند هذا الكتاب .

20 -المعقول و اللامعقول ، د/ زكي نجيب محمود ، ص:88

21 -مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي ، د/جعفر نليف عبابنة ، ص: 28

يقول عنه السيوطي : «أخذ الخليل عن عيسى بن عمر ، فلم يكن قبله (أي الخليل) ولا بعده مثله ، وكان أعلم النّاس وأتقاهم قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصّحابة أذكى من الخليل بن أحمد ، ولا أجمع ، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع .

وقال أبو محمد التّوجي : اجتمعنا بمكّة أدباء كل أفق ، فتذاكرنا أمر العلماء حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم و [مصرفها].

قال أبو الطيب اللّغوي : وأبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ؛ فمن ذلك [جمع] كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمّى كتاب العين واختراعه العروض ، وأحدث أنواعا من الشّعر ليست من أوزان العرب».[22]

ويرى د/شوقي ضيف : أنّ الذي أقام صرح النّحو والتّصريف هو الخليل بن أحمد فيقول : «كان الخليل عقلا فذّا كلمّا مسّ شيئا نظمه واستنبط قوانينه ودقائقه وقد سلّط هذا العقل على قوانين العربية في النّحو والتّصريف ، فإذا به يكتشفها اكتشافا دقيقا . وحقّا لم يترك فيها كتابا جامعا ... فإن تلميذه سيبويه سجّل في كتابه كثيرا من بحوثه النّحوية والصّرفية ...

ورغم أنّه سُبِقَ بخطوات مهمّة إلا أنّه هو الّذي رفع قواعدها وأركانها

22 ـ المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، 401/2

وشاد صرحهما وبناءهما الضّخم ، بما رسم من مصطلحاتهما وضبط من قواعدهما ، وبما شعّب من فروعهما... تناول علمي النّحو والصّرف ساذجين من أسلافه ، ومازال بهما حتى استويا في صورتهما التي ثبتت على الزّمن.[23]

وصلتنا من الخليل أقوال كثيرة أودعها سيبويه كتابه الموسوم بالكتاب وكان أمينا في نقلها حتى قال بعضهم: إن الكتاب من صنع الخليل غير أنّ الأمر ليس كذلك البتة فإحقاق للحق نقول: فإذا كان للخليل دور في الكتاب فهناك حقوق أخرى لنحاة آخرين لابد من مراعاتها ، ثمّ هناك المهارة العجيبة التي تمتّع بها سيبويه في استخراج المسائل من مداركها ،والغوص في فهم تراث الخليل ،وشرحه والإضافة عليه بما رزقه من بصيرة ثاقبة وكان كثيرا ما يخالفه في كثير المسائل نذكر طرفا منها للاستئناس والتدليل.

(أ)-مسائل نحوية خالف فيها سيبويه الخليل :

1 - مسألة التعريف بـ(أل) أيكون بالألف واللام أم باللام وحدها ، فالمشهور بين النحويين أن المعرف (أل) عند الخليل و(اللام) وحدها عند سيبويه . وأنها لما زيدت للتعريف ساكنة ادخلوا عليها الهمزة لئلا يبتدئ بالساكن لأن الابتداء بالساكن محال.[24]

---

23 -المدارس النحوية ، د/ شوقي ضيف ،ص:56

24 - أسرار العربية ، 301/1

وزعم ابن مالك أنه لا خلاف بين سيبويه والخليل في أن المعرف (أل) وقال : وإنما الخلاف بينهما في الهمزة أزائدة هي أم أصلية واستدل على ذلك بمواضع أوردها من كلام سيبويه وتلخيص الكلام أن في المسألة ثلاث مذاهب :

أحدها : أن المعرف (أل) والألف أصل

الثاني : أن المعرف (أل) والألف زائدة

الثالث : أن المعرف (اللام) وحدها، والاحتجاج لهذه المذاهب كلّها يستدعي تطويلا لا يليق بهذا البحث.[25]

وضعف الزجاجي قول الخليل مرجحا قول مخالفيه فقال: والقول ما ذهب إليه العلماء ومذهب الخليل فيما ذكره ضعيف والدليل على صحة قول الجماعة وفساد قول الخليل هو أن اللام قد وجدت في غير هذا الموضع وحدها تدل على المعاني نحو لام الملك ولام القسم ولام الاستحقاق ولام الأمر وسائر اللامات التي عددناها في أول الكتاب ولم توجد ألف الوصل في شيء من كلام العرب تدل على معنى ولا وجدت ألف الوصل في شيء من كلام العرب تكون من أصل الكلمة في اسم ولا فعل ولا حرف فيكون هذا ملحقا به وكيف تكون ألف الوصل من أصل الكلمة وقد سميت وصلا ومع ذلك فإن الخليل نفسه قال : إنما سميت ألف الوصل بهذا الاسم لأنها وصلة للسان إلى النطق بالساكن .

25 – شرح ابن عقيل ، 177/1 عمدة الحافظ و عدة اللافظ ، ابن مالك ، قطر الندى ، ابن هشام ، ص : 120

وقال غيره : إنما سميت ألف الوصل لاتصال ما قبلها بما بعدها في وصل الكلام وسقوطها منه فقد بان لك مذهب الخليل واحتجاجه ومذهب العلماء واحتجاجهم.[26]

وقال ابن جني : وذهب الخليل إلى أن (ال) حرف التعريف بمنزلة قد في الأفعال وأن الهمزة واللام جميعا للتعريف وحكي عنه أنه كان يسميها (ال) كقولنا : (قد) وأنه لم يكن يقول : الألف واللام كما لا يقول في (قد) القاف والدال. ويقوي هذا المذهب قطع (ال) في أنصاف الأبيات نحو قول عبيد :

يا خليلي ارْبَعَا واسْتَخْبِرا الْ منزل الدارسَ عن أهل الحِلالِ

مثلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ الْ قطرُ مغناه وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

وهذه قطعة لعبيد مشهورة عددها بضعة عشر بيتا يطرد جميعها على هذا القطع الذي تراه إلا بيتا واحدا من جملتها ولو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها لا سيما واللام ساكنة والساكن لا ينوى به الانفصال ويقوي ذلك أيضا قول الآخر:

عَجِّلْ لنا هذا وألحقنا بِذَا الْ الشَّحْمِ إِنَّا قد مَلِلْناه بَجَلْ

فإفراده (ال) وإعادته إياها في البيت الثاني يدل من مذهبهم على قوة اعتقادهم لقطعها فصار قطعهم (ال) وهم يريدون الاسم بعدها كقطع النابغة قد وهو يريد الفعل بعدها وذلك قوله :

أَفِدَ الترحُّلُ غير أنّ رِكابنا لما تَزُلْ برحالنا وكأن قَد

26 - كتاب اللامات ، الزجاجي ، 42/1

ألا ترى أن التقدير فيه وكأن قد زالت فقطع (قد) من الفعل كقطع (ال) من الاسم وإذا كان (ال) عند الخليل حرفا واحدا فقد كان ينبغي أن تكون همزته مقطوعة ثابتة كقاف (قد) وباء

(بل) إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عرف موضعه فحذفت همزته كما حذفوا لم يك ولا أدر ولم أبل.

ويؤكد هذا القول عندك أيضا أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل البتة وذلك نحو قول الله عز وجل : (آلله أذن لكم) وقوله تعالى : آلذكرين حرم أم الأنثيين ونحو قولهم في القسم أفألله ، و: لاها ألله ذا[27] ولم نر همزة الوصل ثبتت في نحو هذا فهذا كله يؤكد أن همزة (أل) ليست بهمزة وصل وأنها مع اللام بمنزلة قد وهل ونحوهما. [28]

واختار ابن مالك مذهب الخليل وعلل اختياره بوجوه كثيرة فقال : على أن الصحيح عندي قول الخليل لسلامته من وجوه كثيرة مخالفة للأصل وموجبة لعدم النظائر.

أحدها : تقدير الزيادة فيما لا أهلية فيه للزيادة وهو الحرف .

الثاني : وضع كلمة مستحقة للتصدير على حرف ساكن ، ولا نظير لذلك .

الثالث : افتتاح حرف بهمزة وصل ، ولا نظير لذلك .

الرابع : لزوم فتح همزة وصل بلا سبب ، ولا نظير لذلك .

---

27 – قال المحقق : ها عوض من واو القسم المحذوفة ، وذا هو المحلوف عليه عند الخليل ، وهو المحلوف به عند الأخفش ، وهو من جملة القسم .

28 – سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، 1/333-334

الخامس : أن المعهود الاستغناء عن همزة الوصل بالحركة المنقولة إلى الساكن نحو : (رَ زيدا) والأصل : (إرْء) فنقلت حركة الهمزة إلى الراء واستغنى عن همزة الوصل ، ولم يفعل ذلك بلام التعريف المنقول إليه حركة إلا على شذوذ ، بل يبدأ بالهمزة على المشهور من قراءة ورش في مثل (الأَخرة) وذلك في مثل (رَ زيدا) لا يجوز أصلا ، فلو كانت همزة أداة التعريف وصل زائدة له لم يبدأ بها مع النقل كما يبدأ بها الفعل المذكور .

السادس : أنّه لو كانت همزة أداة التعريف همزة وصل لم تقطع في (يا أَلله) ولا في قولهم : (ها أَلله لأفعلن) بالقطع تعويضا من حرف الجر لأن همزة الوصل لا تقطع إلاّ في الاضطرار ، وهذا الذي ذكرته قطع في الاختيار ، رجع به أصل متروك ، ولو لم يكن مراجعة أصل لكان قولهم (ها الله لأفعلن) أقرب إلى الإجحاف منه إلى التعويض ، إذ في ذلك جمع بين ما أصله أن يثبت ، وإثبات ما أصله أن يحذف فصح أن الهمزة المذكورة كهمزة : أم ، وأن ، وأو ، لكن التزم حذفها تخفيفا إذا لم يبدأ بها ولم تل همزة استفهام ، كما التزم أكثر العرب حذف عين المضارع والأمر من (رأى) ، وحذف فاء الأمر من (أخذ) و(أكل) وهمزة (أم) في ويلمه.[29]

وهو ما ذهب إليه ابن هشام فقال : (أل) أداة تعريف لا اللام وحدها وفاقا للخليل وسيبويه وليست الهمزة زائدة خلافا لسيبويه.[30]

29 - شرح التسهيل ، ابن مالك ، 1/285-286

30 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام ، 1/179

وجملة القول في هذا الخلاف بين الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وما دار بين النحاة من تأييد لهذا المذهب أو ذاك فإننا نجد ابن مالك قد أشار في ألفيته إلى القولين معا فقال :

أل حرف تعريف أو اللام فقط فنمط عرّفت قلْ فيه النمـط

وكـأني به يجيز المذهبين لوجاهتهما إذ بهما معا قرئ قال ابن الجزري: إذا نقلت الهمزة إلى لام التعريف في نحو (الأرض ، الآخرة ، الآن ، الإيمان ، الأولى ، الأبرار) وقصد الابتداء على مذهب الناقل فإما أن يجعل حرف التعريف (أل) أو اللام فقط :

(أ)- فإن جعلت (أل) ابتدأ بهمزة الوصل وبعدها اللام المحركة بحركة همزة القطع فتقول : (الرض ، الاخرة ، الايمان ، البرار ..).

(ب)- وإن جعلت اللام فقط فأما أن يعتد بالعارض وهو حركة اللام بعد النقل أو لا يعتد بذلك ويعتبر الأصل ...[31]

2 - قوله تعالى : ﴿وأنْ اتقوا الله﴾ في موضع نصب عند سيبويه وجر عند الخليل والتقدير : بأن اتقوا الله وأن على هذا مصدرية ويجوز أن تكون بمعنى أي : لأن وصينا في معنى القول فيصح أن يفسر بأي : التفسيرية.[32]

3 - مذهب الخليل في (لن) أن أصلها عنده (لا أن) وكثر استعمالها فحذفت الهمزة تخفيفا فالتقت ألف (لا) ونون (أن) وهما ساكنتان

---

31 - النضر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 415/1

32 - التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، 197/1

فحذفت الألف من لا لسكونها وسكون النون بعدها فصارت لن فخلطت اللام بالنون وصار لهما بالامتزاج والتركيب الذي وقع.[33]

تعليق : واحتج الأولون بأن الأصل عدم التركيب وإنما يصار إليه لدليل ظاهر ولا دليل على ذلك بل الدليل يدل على فساده وبيانه من وجهين:

أحدهما : جواز تقدم معمول معمولها عليها كقولك زيدا لن أضرب وأن لا يتقدم عليها ما في حيزها وبذلك احتج سيبويه على الخليل وقد اعتذر عنه بأن التركيب غير الحكم كما غير المعنى وهذه دعوى ألا ترى أن لولا لما تغيرت في المعنى للتركيب لم يتغير الحكم في التقديم والتأخير .

والثاني : أن لا أن يتقدمها ما يتعلق بالمعنى ولن لا يلزم فيها ذلك[34].

وقد علل العلامة عبد الرحمن الحاج صالح كلا الرأيين وصوّبهما.[35]

شرح وتوضيح : ونوضح ذلك فنقول : لن حرف ناصب للأفعال وهو نفي لقولك سيفعل وأصلها عند الخليل لا أن فكثر استعمالها فحذفت الهمزة تخفيفا فالتقت ألف لا ونون أن وهما ساكنان فحذفت الألف من لا لسكونها وسكون النون بعدها فخلطت اللام بالنون وصار لهما بالامتزاج والتركيب الذي وقع فيهما حكم آخر يدلك على ذلك قول

33 – سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، 305/1

34 – اللباب في علل البناء والإعراب ، 33/2

35 – النظرية الخليلية الحديثة ، د/عبد الرحمن الحاج الصالح ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، العدد 10 رجب 1417هـ/ديسمبر1996

العرب : زيدا لن أضرب فلو كان حكم لن المحذوفة الهمزة مبقى بعد حذفها وتركيب النون مع لام لا قبلها كما كان قبل الحذف والتركيب لما جاز لزيد أن يتقدم على أن لأنه كان يكون في التقدير من صلة أن المحذوفة الهمزة من صلتها لما جاز تقدمه عليها على وجه فهذا يدلك أن الشيئين إذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا ألا ترى أن لولا مركبة من لو ولا ومعنى لو امتناع الشيء لامتناع غيره ومعنى لا النفي والنهي فلما ركبا معا حدث معنى آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره فهذا في أن بمنزلة قولنا كأن ومصحح له ومؤنس به ورد سيبويه ما ألزمه الخليل من أنه لو كان الأصل لا أن لما جاز زيدا لن أضرب لامتناع جواز تقدم الصلة على الموصول وحجاج الخليل في هذا ما قدمنا ذكره لأن الحرفين حدث لهما بالتركيب نحو لم يكن لهما مع الانفراد الجوهري لن حرف لنفي الاستقبال وتنصب به تقول لن يقوم زيد التهذيب.

قال النحويون : لن تنصب المستقبل واختلفوا في علة نصبه إياه فقال أبو إسحق النحوي : روي عن الخليل فيه قولان : أحدهما أنها نصبت كما نصبت أن وليس ما بعدها بصلة لها لأن لن تفعل نفي سيفعل فيقدم ما بعدها عليها نحو قولك زيدا لن أضرب كما تقول زيدا لم أضرب وروى سيبويه عن بعض أصحاب الخليل أنه قال : الأصل في لن لا أن ولكن الحذف وقع استخفافا وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد ولو كان كذلك لم يجز زيدا لن أضرب وهذا جائز على مذهب سيبويه وجميع النحويين البصريين .

وحكى هشام عن الكسائي في لن مثل هذا القول الشاذ عن الخليل ولم يأخذ به سيبويه ولا أصحابه.

وقال الليث : زعم الخليل في لن أنه لا أن فوصلت لكثرتها في الكلام ألا ترى أنها تشبه في المعنى لا ولكنها أوكد تقول : لن يكرمك زيد معناه كأنه كان يطمع في إكرامه فنفيت ذلك ووكدت النفي بلن فكانت أوجب من لا .

وقال الفراء : الأصل في لن ولم لا فأبدلوا من ألف لا نونا وجحدوا بها المستقبل من الأفعال ونصبوه بها وأبدلوا من ألف لا ميما وجحدوا بها المستقبل الذي تأويله المضي وجزموه بها.[36]

(ب)-مسائل نحوية للخليل بن أحمد :

1- مهما بمنزلة ما في الجزاء قال الله عز وجل ﴿**مهما تأتنا به من آية لتسحرنا به**﴾ أي ما تأتنا قال الخليل: هي ما على ما لغوا كما دخلت ما مع متى تقول : متى تأتني آتك ، ومتى ما تأتني آتك وكما أدخلت ما مع أي لغوا كقوله تعالى : ﴿**أيا ما تدعوا**﴾ فمعناه أيا تدعوا قال : ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظا واحدا فيقولوا : ماما فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأول وقال سيبويه : قد يجوز أن يكون مه فضم إليها ما.[37]

---

36 - ما ذكرته هنا مما حفظته من الأساتذة والمشايخ الذين أخذت عنهم هذا علم ا لنحو.

37 - كتاب حروف المعاني ، 20/1

2- قال تعالى : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾البقرة/ أي بان لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب بـ(بشر) عند سيبويه خلافا للخليل.

قال القرطبي : أن لهم في موضع نصب بـ(بشر) والمعنى : وبشر الذين آمنوا بأن لهم أو لأن لهم فلما سقط الخافض عمل الفعل وقال الكسائي وجماعة من البصريين أن في موضع خفض بإضمار الباء جنات في موضع نصب أسم أن وأن وما عملت فيه في موضع المفعول الثاني.[38]

3 - هلم وهو اسم ائت وتعال قال الخليل : هي مركبة وأصلها عنده ها للتنبيه ثم قال : لم أي لم بنا ثم كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفا ولأن اللام بعدها وإن كانت متحركة فإنها في حكم السكون ألا ترى أن الأصل وأقوى اللغتين وهي الحجازية أن تقول : فيها المم بنا فلما كانت لام هلم في تقدير السكون حذف لها ألف ها كما تحذف لالتقاء الساكنين فصارت هلم وقال الفراء : أصلها هل زجر وحث دخلت على أم كأنها كانت هل أم أي اعجل واقصد .

وأنكر أبو علي الفارسي عليه ذلك وقال : لا مدخل هنا للاستفهام وهذا عندي لا يلزم الفراء لأنه لم يدع أن هل هنا حرف استفهام وإنما هي عنده زجر وحث وهي التي في قوله : ولقد يسمع قولي حيهل . قال الفراء : فألزمت الهمزة في أم التخفيف فقيل : هلم .

---

38 - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، 239/1

قال ابن منظور : هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال قال الخليل: أصله لُمَّ في قولهم : لمَّ الله شعثه أي: جمعه كأنه أراد : لُمَّ نفسك إلينا أي: أقرب و(ها) للتنبيه ، وإنما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا .

قال ابن سيده : زعم الخليل أنها لُمَّ لحقتها الهاء للتنبيه في اللغتين جميعا قال : ولا تدخل النون الخفيفة ولا الثقيلة عليها لأنها ليست بفعل وإنما هي اسم للفعل يريد أن النون الثقيلة إنما تدخل الأفعال دون الأسماء وأما في لغة بني تميم فتدخلها الخفيفة والثقيلة لأنهم قد أجروها مجرى الفعل ولها تعليل.[39]

وأهل الحجاز يدعونها في كل حال على لفظ واحد فيقولون للواحد والواحدة والاثنين والاثنتين والجماعتين: «هلم يا رجل وهلم يا امرأة وهلم يا رجلان وهلم يا امرأتان وهلم يا رجال وهلم يا نساء وعليه قوله: يا أيها الناس ألا هلمه .

وأما التميميون فيجرونها مجرى لم فيغيرونها بقدر المخاطب فيقولون : «هلم وهلما وهلمي وهلموا وهلممن يا نسوة .

الترجيح : وأعلى اللغتين الحجازية وبّها نزل القرآن ألا ترى إلى قوله عز اسمه : ﴿**وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**﴾. وقال تعالى : ﴿**قل هلم شهداؤكم**﴾ أي أحضروا شهداؤكم وهي عندهم اسم فعل لا فعل أمر لأنها وان كانت دالة على الطلب لكنها لا تقبل ياء المخاطبة.

39 - لسان العرب ، 618/12

وأما التميميون فإنها عندهم أيضا اسم سمي به الفعل وليست مبقاة على ما كانت عليه قبل التركيب والضم يدل على ذلك أن بني تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف فمنهم من يتبع فيقول مُدُّ وفِرٌّ وعَضَّ ومنهم من يكسر فيقول : مُدِّ وفر وعَضِّ ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول : مُدَّ وفِرٌّ وعَضَّ ثم رأيناهم كلهم مع هذا مجتمعين على فتح آخر (هَلُمَّ) وليس أحد يكسر الميم ولا يضمها فدل ذلك على أنها قد خلجت عن طريق الفعلية وأخلصت اسما للفعل بمنزلة دونك وعندك.[40]

(ج)-**آثار الخليل بن أحمد :** بقي لنا أن ننظر في آثاره والثابت أن الخليل له معجم العين أكمله أم لم يكمله فقد أجمع أهل العلم أنّ هذا المعجم من آثار الخليل بن أحمد[41]

وذكر له السيوطي تصانيف أخرى منها : كتاب النعم ، العروض ، الشواهد ، النقط والشكل والجمل[42] .

وهنا نسأل : هل ألف الخليل بن أحمد كتابا في النحو ؟

حقق الأستاذ الدكتور قباوة الكتاب الموسوم بـ «الجمل في النحو» ونسبه للخليل بن أحمد وسبق لي أن قرأت هذا الكتاب عدة مرات ولا زال في النفس شيء من نسبة هذا الكتاب للخليل بن أحمد وذلكم لعدة أسباب منها :

40 - الخصائص ، 3/35-36

41 - البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، فيروآبادي ، ص : 79

42 - بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة ، السيوطي ، 1/558

(1) - إن الكتاب في غاية الاختصار مع أن الخليل له رأي في المختصرات وميل لها فقال: الكتاب يختصر ليحفظ ويبسط ليفهم .[43] ومع ذلك فإن هذا الكتاب لا ينبئ عن علم الخليل بن أحمد .

(2) - وإن ذكر الرواة أن الخليل بن أحمد ألف مصنفات منها كتاب الجمل في النحو إلاّ أننا نستبعد أن يكون هذا الكتاب هو المصنف الذي أشار إليه الرواة وذلكم لأسباب سوف نذكرها إن شاء الله في موضعها من البحث .

(3) - اتفقوا على أن علم الخليل حمله تلميذه سيبويه وأودعه كتابه المشهور بالكتاب . بل بعضهم كما سبق أن أشرنا إليه إلى القول الكتاب هو كتاب خليل لا كتاب سيبويه . . !

ومهما كانت الشكوك في نسبة هذا الكتاب فإن هذا لا يمنعنا من مقارنة مضمونه بما هو موجود في «الكتاب» لنستدل على حقيقة كتاب الجمل أهو حقا من تأليف الخليل بن أحمد أم لا ؟

ونستعرض هنا بعض مسائله لمعرفة حقيقة الأمر جاء في كتاب الجمل ما يلي :

1 - قال في أول الكتاب : وقد ألفنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والجر والجزم وجمل الألفات واللامات والهاءات والتاءات والواوات وما يجري من اللام ألفات وبينا كل معنى في بابه باحتجاج من القرآن وشواهد من الشعر فمن عرف هذه الوجوه بعد نظره

43 - حواشي الشرواني ، 42/1

فيما صنفناه من مختصر النحو قبل هذا استغنى عن كثير من كتب النحو.[44]

2 - ولنتأمل في قوله : «حكى الخليل بن أحمد يخفضونه أيضا في قولهم جحيش وحده وعيير وحده بالكسر.

وانظر إلى قوله أيضا : قال الإمام الخليل بن أحمد : وأنا أقرؤها إن شئتم مخففة على الأصل

إن هذان لساحران أي ما هذان إلا ساحران قال الشاعر:

غدر ابن جلموز بفارس بهمة عند اللقاء ولم يكن بمعرد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

أي : ما قتلت إلا مسلما وفي قراءة عائشة رضي الله عنها إن هذين لساحران.[45] فلو كان الكتاب من تأليفه لا يسند الحكاية لنفسه ولا يقول : «قال الإمام الخليل بن أحمد» وإنما ينقل الحكاية عن غيره.ونثبت لوحتين أحدهما من «الكتاب» وقد أورد فيه رأي الخليل في مسألة نصب المنادى بـ(يا) وحكم الاسم المعرف بالألف واللام المعطوف على المنادى المنصوب والأخرى من كتاب الجمل:

---

44 - الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد ، ص : 63

45 - الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد ، ص: 140-159

اللوحة رقم : 1

ما ورد في «الكتاب» سيبويه	ما ورد في كتاب الجمل في النحو المنسوب للخليل
قال الخليل رحمه الله من قال : يا زيدُ والنَّضْرَ فنصب ،فإنّما نصب لأنّ هذا كان من المواضع التي تردُّ فيها الشيء إلى أصله . فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون : يا زيدُ والنضرُ وقرأ الأعرج: «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ» فرفع ويقولون: يا عمرُو والحارثُ وقال الخليل رحمه الله هو القياس ، كأنّه قال : ويا(حارثُ) . ولو حمل الحارث على (يا) كان غير جائز البتّة نصب أو رفع من قبل أنّك لا تنادي اسما فيه الألف واللام بـ(يا) ، ولكنك أشركت بين النضر والأول في (يا) ولم تجعلها خاصة للنضر وقال الخليل رحمه الله : ينبغي لمن قال : النضرَ فنصب لأنّه لا يجوز يا النضْرُ أن يقول : «كلّ نعجة وَسَخْلَتَهَا بدرهم فينصب إذا أراد لغة من يجرّ لأنّه محال أن يقول كلّ سَخْلَتِهَا ، وإنما جرّ لأنّه أراد وكلُّ سَخْلَةٍ لها . ورفع ذلك لأنّ قوله : والنَّضْرُ بمنزلة قوله : ونضرُ . وينبغي أن يقول : «أَيُّ فَتَى هَيْجَاءَ أَنْتَ وَجَارَهَا» لأنّه محال أن يقول : وأيُّ جارِهَا .[47]	والنصب الذي يقع في النداء المفرد أن تنادي اسما ليس فيه الألف واللام ثم تعطف عليه باسم فيه ألف ولام تقول يا زيد والفضل ويا محمد والحارث وقال الله جل وعز (يا جبال أوبي معه والطير) نصب الطير لأن حرف النداء لم يقع عليه ولم يجز أن تقول يا الفضل فنصبت على خلاف النداء . وقال الشاعر ألا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق. وقال أخر فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجـوادا أراد يا الجواد فلما لم يجز نصبه ويجوز أن ترفع على معنى يا زيد أقبل وليقبل معك الفضل وعلى هذا يقرأ من يقرأ (يا جبال أوبي معه والطيرُ)على الرفع ومجازه وليؤوب الطير معك.[46]

46 – الكتاب ، سيبويه، ص : 1/186-187

47 – الجمل في النحو، الخليل بن أحمد ، ص 109 – 110

من خلال هذان النصان يتضح لنا الفرق الشاسع بين آراء الخليل بن أحمد كما رواها سيبويه وما جاء في كتاب «الجمل» الذي نسبت للخليل قد يلاحظ القارئ العزيز تشابها بين الحكمين لكن هناك فرق كبير بين أسلوب «الكتاب» وكتاب الجمل في النحو وكأني بهذا الكتاب هو لأحد المتأخرين نسبه للخليل بعد ما استقى بعض موضوعاته من «الكتاب».

والذي ذكرناه هو حكم يحتاج إلى الدليل فما ذكرنا يدخل في باب الظن : (ما نظن إلاّ ظنا وما نحن بمستيقنين) ، ولإثبات الحقيقة لا بد من البحث والتقصي ، والاهتداء إلى النتيجة ليس بعزيز لمن رام الجدية في البحث .

وقد أجهد الأستاذ الفاضل الدكتور محمد إبراهيم عبادة نفسه- مشكورا على صنيعه وعمله- ليثبت نسبة هذا كتاب الجمل للخليل إلاّ أن ما ذكره تنقصه الأدلة الكافية فهو-جازاه الله خيرا-يعتمد على مجرد التشابه بين الآراء الموجودة في «الكتاب» وبين ما يمثلها في كتاب «الجمل» ليقرر صحة نسبة كتاب الجمل وهذا فيه نظر . ولو أمعن الأستاذ الفاضل في الأحكام النحوية الواردة في هذا الكتاب لوجد الفرق بين ما نسب للخليل من آراء نحوية في الكتاب لسيبويه وما ورد في كتاب «الجمل منسوبة للخليل بن أحمد . ونذكر على سبيل المثال ما يلي :

ومن خلال تفحصنا للنص نجد الخليل يميل للرفع بل هو اختياره على ما قاله السيرافي في شرحه للكتاب . وبينما نجده في كتاب «الجمل في النحو» يجيز فقط وشتان بين الاختيار والتجويز .

وذكر أبو العباس أنك إذا قلت : يا زيد والرجل فالنصب هو الاختيار وفرق بينه وبين النضر حيث جعل الاختيار فيه الرفع بأنّ النضر ونضر علمان ، وليس في الألف واللام معنى سوى ما كان في نضر ، والألف واللام في الرجل قد أفادت معنى وهو معاقبة الإضافة فلما كان الواجب في المضاف النصب كان الاختيار فيما هو بمنزلة الإضافة النصب.[48]

وقد اختار الخليل الرفع في المعطوف على المنادى المفرد إذا كان معرّفا بـ(ال) واستشهد على ذلك بقراءة الأعرج: **(يَا جِبَالُ أَوِبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ)** سبأ/11 بالرفع.[49]

قال ابن عقيل : يجب بناء المنسوق على الضم إذا كان مفردا معرفة بغير أل فإن كان ب أل جاز فيه وجهان الرفع والنصب والمختار عند الخليل وسيبويه ومن تبعهما الرفع وهو اختيار ابن مالك ولهذا قال : ورفع ينتقى أي يختار فتقول : يا زيد والغلام بالرفع والنصب ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ**﴾ برفع الطير ونصبه.[50]

وقال ابن هشام : خالف الخليل أبا عمرو في قراءة الآية الكريمة: (يَا جِبَال أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْر) فكان الخليل يختار الرفع وأبو عمر يختار النصب .[51]

---

48 - المقتضب ، المبرد ،

49 - الكتاب ، سيبويه ، 305/1

50 - شرح ابن عقيل ، 268/3

51 - الجامع الصغير ، ابن هشام ، ص : 50 تحقيق محمد شريف الزيبق ط الأولى دمشق

اللوحة رقم : 2

وأما سُبُوحًا قُدُوسًا ربّ الملائكة والرُّوح ، فليس بمنزلة سبحان الله ؛ لأنّ السُّبوح والقُدُوس اسم ولكنه على قوله : أذكر سُبوحا قُدوسا . وذاك أنّه خطر على باله أو ذكره ذاكر فقال : سُبُوحًا كما تقول : أَهْلَ ذاك إذا سمعت الرجل ذكر الرجل بثناء أو ذمّ كأنّه قال : ذكرت أهل ذاك لأنّه حيث جرى ذكْرُ الرجل منطقه صار عنده بمنزلة قوله : أذكر فلانا أو ذكرت فلانا . كما أنّه حيث أَنْشَدَ ثم قال: صادقا صار الإنشاد عنده منزلة قال ،ثمّ قال: صادقا وأهلَ ذاك فحمله على الفعل متابعا للقائل والذاكر فكذلك سُبُوحا قُدُوسا كأنّ نفسه صارت بمنزلة الرجل الذاكر والمنْشِدِ حيث خطر على باله الذكر ثمّ قال : سُبُوحًا قُدُوسًا أي ذكرت سُبُوحًا ، متابعا لها فيما ذكرت وخطر على بالها . ومن العرب من يرفع فيقول سُبُّحٌ قُدُّوس ربّ الملائكة والروح ما قال : أهل ذاك وصادقٌ واللهِ وكلّ هذا على ما سمعناه العرب تتكلم به رفعا ونصبا. (53)	فأما سبوحا قدوسا فنصبه على معنى ذكرت سبوحا قدوسا.(52)

52 - الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد ، ص : 135

53 - الكتاب ، سيبويه ، 327/1

إن هذا النص والذي قبله لا يوحي أنّ هذا الكتاب من صنع الخليل بل يستحيل أن يكون من نسجه وتصنيفه وذلك لأسباب مستقاة من هذه النصوص نفسها :

أولا : هل ألف الخليل مختصرا للنحو قبل هذا ؟ فإن النص الذي بين أيدينا يقول بصريح العبارة بعد نظره فيما صنفناه من مختصر النحو قبل هذا استغنى عن كثير من كتب النحو. هذه العبارة الأخيرة لها دلالتها أيضا هل وجدت كتبا في النحو ضاقت بها المكتبات قبل كتاب سيبويه إلاّ ما كان من كتابين ألفهما عيسى بن عمر ومدحهما الخليل نفسه بقوله :

بطل النحو جميعا كله ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وقد فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم تقع إلى أحد علمناه ولا خبر أحد أنه رآهما.[54]

ثانيا : على اعتبار أن الكتاب ألفه الخليل بن أحمد فهل ما أودعه فيه يغني عن سائر الكتب النحوية-إن وجدت- في عصره انظر إلى اللوحة رقم : 2 والعرض الذي قدمه سيبويه في كتابه شارحا لـ (سبوحا قدوسا). والشرح الوارد في الكتاب المنسوب للخليل بن أحمد. هل هذا الشرح مما يغني الباحث أو حتى المبتدئ عن كتب النحو ؟

54 - الفهرست ، ابن النديم ، ص : 62 .البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، الفيروز آبادي ، ص : 180

كما لدينا دلائل أخرى تبين على أن هذا الكتاب ليس من تأليف الخليل بن أحمد نذكر منها :

(1) - **الاختلاف المصطلح المستعمل :** إن المصطلح المستعمل هو غير المصطلح المألوف عند البصريين عموما وسيبويه على الخصوص إذ نجد أن المصطلح المستعمل في الكتاب الجمل في النحو هو أقرب إلى مزج بين المصطلح الكوفيين بالمصطلح البصريين .ومن ذلك :

(أ) - النصب من قطع : مثل قولك هذا الرجل واقفا أنا ذا عالما قال الله تعالى : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾الأنعام/ ومثله ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾النمل/ على القطع ومثله ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ هود/ على القطع وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾النحل/ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾البقرة/ معناه وله الدين الواصب وهو الحق المصدق وكذلك قوله تعالى ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾(25) مريم/ معناه تساقط عليك الرطب الجني فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام وقال جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلي قطينا

نصب خليفة على القطع من المعرفة من الألف واللام ولو رفع على معنى هذا ابن عمي هذا خليفة لجاز . وعلى هذا المعنى يقرأ من يقرأ ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾الأنبياء/ فإن جعل هذا اسما وابن عمي صفته وخليفة خبره جاز الرفع ومثل هذا قول الرفع :

من يك ذا بت فهذا بتـي مقـيظ مضيـف مشـتي

أعددته من نعجات سـت سود جعاد من نعاج الدشت

من غزل أمي ونسيج بنتي

رفع كله على معنى هذا بتي هذا مقيظ هذا مصيف هذا مشتي . وأما قول الشاعر النابغة :

توهمت آيـات لهـا فعرفتها لستة أعـوام وذا العـام سابع

فرفع العام بالابتداء وسابع خبره وقال أيضا :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

فرفع السم بالابتداء وناقع خبره. (55)

أما قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ(23) ﴾ ق / رفع عتيدا لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شيء عتيد عندي والنصب من الحال قولهم : أنت جالسا أحسن منك قائما أي في حال جلوسه أحسن منه في حال قيامه . قال الشاعر :

لعمـري إني ورادا بعد سبعة لأعشى وإني صادرا لبصير

أي : في حال ورودي أعشى وحال صدري بصير وإنما صار الحال نصبا لأن الفعل يقع فيه تقول : قدمت راكبا وانطلقت ماشيا وتكلمت قائما وليس بمفعول في مثل قولك لبست الثوب لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل والقيام حال وقع فيه الفعل فانتصب كانتصاب الظرف حين

---

55 -خالف ابن الطرواة سيبويه في رفع «ناقع» على الخبرية فهو يرى أن «ناقع» نعت وأدى بحجج مقنعة على صحة ما ذهب إليه لنا معها وقفة في بحث آخر إن شاء الله تعالى .

وقع فيه الفعل ولو كان الحال مفعولا كالثوب لم يجز أن يعدا الانطلاق إليه لأن الانطلاق انفعال والانفعال لا يتعدى أبدا لأنك لا تقول انطلقت الرجل والحال لا يكون إلا نكرة والحال في المعرفة والنكرة بحالة واحدة تقول : قدم علي صاحب لي راجلا ومنه قول الله عز وجل ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(29)مريم / نصب على الحال والنصب من الظرف قولهم : غدا آتيك ويوم الجمعة يفطر الناس فيه واليوم أزورك قال ساعدة بن جؤية :

لدن بهز الكف يعسل متنــه فيه كما عسل الطريق الثعلب

فنصب الطريق على الظرف لأن عسلان الثعلب وهو مشيته وقع في الطريق . وقال ابن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجــراها اليمينا

فنصب اليمين على الظرف كأنه قال مجراها على اليمين وقال آخر :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التي شرقي حورانا

نصب الشرقي على الظرف أي : هي شرقي حوران تقول : هو شرقي الدار وإذا قلت : هو شرقي الدار وجعلته اسما جاز الرفع ونصب الآخر جنوبا على معنى هبت الريح جنوبا وحوران لا ينصرف.

وسمي الظرف ظرفا لأنه يقع الفعل فيه كالشيء يجعل في الظرف فإذا قلت هو شرقي الدار فجعلته اسما جاز الرفع ومثله قول لبيد بن ربيعة العامري :

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

رفع خلفها وأمامها لأنه جعلهما اسما وهما حرفا الطريق قال الشاعر :

أمـا النهار ففي قيد وسلسلـة والليل في جوف منحوت من الساج

رفع الليل والنهار لأنه جعلهما اسما ولم يجعلهما ظرفا .

وكذلك يلزمون الشيء الفعل ولا فعل وإنما هذا على المجاز كقول الله جل وعز ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ﴾ البقرة/ والتجارة لا تربح فلما كان الربح فيها نسب الفعل إليها ومثله قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾الكهف/ ولا إرادة للجدار وقال الشاعر :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونـمـت وما ليل المطي بنائم

والليل لا ينام وإنما ينام فيه وقال آخر : فنام ليلي وتجلى همي.

وتقول : هو مني فرسخان ويومان لأنك تقول بيني وبينه فرسخان ويومان فإذا قلب هو مني مكان الثريا ومزجر الكلب نصبت لأنك لا تقول بيني وبينه مكان الثريا ولا مزجر الكلب وقال الشاعر

وأنت مـكـانـك في وائـــــل مكان الثريا من است الحمل[56]

تعليق : ما جاء «الجمل في النحو العربي» يطابق إلى حد كبير ما جاء في الكتاب لسيبويه إلاّ أنه استعمل مصطلح **«القطع»** أي قطع اللف واللام مما يكون نعتا لما قبله فينصب فهذا المفهوم لم يكن شائعا ولا مـعـروفـا لـدى الـبصـريين وإنما هـو مصـطـلـح الـكـوفـيين وإن رأى الدكتور/إبراهيم عبد الله عبادة أنّ هذا من المصطلحات القديمة التي توارت أمام مصطلحات أخرى حلت محلها في فترة استقرار المصطلح

56 - كتاب الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد ، ص : 66-67

النحوي.[57] إلاّ أن هذا يحتاج إلى دليل إثبات فنحن أمام مصطلحات لمدرستين الأولى كوفية وثانية بصرية ، ولكل منهما مصطلحاتها الخاصة بها خالفت به المدرسة الأخرى .

2 - **مصطلح الصرف :** هذا المصلطح كما هو معروف من المصلحات الخاصة بالمدرسة الكوفية أطلقه الفراء على الاسم المنصوب بعد واو المعية .

3 - **والنصب من مصدر :** كقولك : خرجت خروجا وأرسلت رسولا وإرسالا قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل إلى أم معمر سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

ولآخر :

أمـا القتـال فلا أراك مقاتـــلا ولـئـن هـربـت ليعـرفـن الأبـلـق

نصب القتال والصبر على المصدر . وقد يجعلون الاسم منه في موضع مصدر فيقولون : أما صديقا مصافيا فليس بصديق . وأما عالما فليس بعالم معناه أما كونه عالما فليس بعالم.[58]

للبحث صلة

57 -كتاب الجمل في النحو : دراسة تحليلية ، د/ محمد إبراهيم عبادة ، ص : 93

58 - كتاب الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد ، ص : 66-67